الإسلام حضارةٌ وثقافة

مستخلص البحث:

يتناول هذا البحث، موضوع الثقافة والحضارة الإسلامية التي تمثل تراث وعادات وتقاليد وسلوك الأمة الإسلامية التي تستحق أن نفخر بها ونحافظ عليها من هجمات الثقافات الغربية الخطيرة. يتكون البحث من ثلاثة مباحث على النحو التالي: المبحث الأول: بعنوان الثقافة في حياة الأمم تناولت فيه المفاهيم الأساس للثقافة وأين تقف أمتنا الآن. كما تناولت في المبحث الثاني: معني الثقافة في اللغة العربية واللغات الأجنبية والمدلول اللفظي والفكري للثقافة. كما تطرقت في المبحث الثالث: لموضوع الثقافة والمجتمع متناولاً علاقة الثقافة بالمجتمع وعلاقتها بالدين وارتباطها بالحضارة والعلم.

والله الموفق،،،

مقدمة:

الحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

تتميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات الإنسانية، بأنها تستند في أصولها ومرجعيتها إلى وحي إلهي، هو آخر رسالات السماء إلى الأرض، وخاتم الخطاب الإلهي للإنسان. وقد أحدث ذلك الوحي بما جاء به من تعاليم وقيم نقلة هائلة في تاريخ البشرية، ونتج عنه تحول مذهل نقل الإنسان من ظلام الجهل إلى نور الهدى ومن براثن الشرك إلى فضاء الوحدانية وحرر الإنسان من عبادة العباد إلى عبادة رب الناس أجمعين.

وكان هذا التحول عظيماً بالنسبة للأمة الإسلامية لأنه نقل هذا الإنسان من الجهل إلى المعرفة، ومن الفرقة والشتات إلى الوحدة والتآلف، ومن العداء والشقاق إلى ظلال الأخوة والتعاون، ومن جماعة لا وزن لها ولا قيمة إلى أمة عظيمة متمسكة بدين اللّه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

وخلال هذه المسيرة التاريخية، التقت الثقافة الإسلامية بالثقافات الإنسانية الأخرى، فتفاعلت معها وانفعلت بها، واستفادت منها ولم تلبث تلك الثقافات أن أصبحت أحد المكونات لما عرف بالحضارة الإسلامية التي ألقت بظلالها على العالم.

ونظراً لعوامل عديدة داخلية وخارجية، تراجع مد الحضارة الإسلامية وتباطأ المسلمون في العطاء، في الوقت الذي برزت فيه إلى الوجود الحضارة الغربية التي لم تلبث أن نمت إمكاناتها المادية، وتمددت قوتها وانتشرت قواتها حتى احتوت كثيراً من أجزاء العالم الإسلامي، وشكلت تحدياً كبيراً للثقافة الإسلامية. وازداد هذا التحدي قوة وخطراً في العصر الحديث الذي شهد مظاهر من التطور الهائل الذي لم تشهده البشرية في تاريخها الطويل، من سرعة في وسائل المواصلات، وتقدم تقني

هائل للاتصالات وثورة معلوماتية مذهلة، فأحدث هذا كله نقلة نوعية في علاقات الناس ببعضهم، وألغى الحدود بين البلاد، وأزال الفواصل الثقافية بين الشعوب، وأصبح العالم كما عبر كثير من علماء الاجتماع، قرية كونية واحدة.

وهذا الواقع الجديد أدى إلى إثارة العديد من القضايا والتحديات التي تواجه المجتمعات البشرية عامةً والمجتمع الإسلامي على وجه الخصوص.

وقد فرض هذا التطور أجواء تسيطر عليها نذر التصادم بين الحضارات، والمواجهة بين الثقافات، وهذا يعتبر تحدياً فكرياً وثقافياً لابد أن يدفع بالمسلمين إلى التفكير في واقعهم ومراجعة أنفسهم والعمل على ما يحفظ عليهم هويتهم.

وقد قصدت تقديم هذه الدراسة للأخوة الباحثين من طلاب المسلمين تبصيراً لهم بهذا الواقع الجديد وربطهم بقيمهم الثقافية لمواجهة التحديات الثقافية الماثلة والتعامل معها حفاظاً على تراث أمتنا الإسلامية، واعتزازاً بحضارتنا وثقافتنا الإسلامية العربية.

جعلت من هذه الدراسة ثلاثة مباحث رئيسة لتوضيح معالم الثقافة الإسلامية، تناولت في المبحث الأول معني الثقافة في اللغة العربية وفي اللغات الأجنبية متناولاً المدلول اللفظي والمدلول الفكري لمفهوم الثقافة، وكان المبحث الثاني عبارة عن دراسة الثقافة في حياة الأمم متناولاً المفاهيم الأساس للثقافة وأين تقف أمتنا منها؟.

كما تناولت في المبحث الثالث الثقافة والمجتمع موضحاً مدى علاقة الثقافة بالمجتمع والحياة الاجتماعية ومدى علاقة الثقافة بالدين وأيضاً تناولت مدى الترابط بين الثقافة والحضارة والعلم. وأخيراً أوردت خاتمة لهذا البحث تشمل النتائج والتوصيات.

آمل أن أكون وفقت لتقديم لمحات من الثقافة الإسلامية فقد كتب كثيرٌ من الباحثين في موضوع الثقافة الإسلامية في جوانب متعددة.

واللّه أسأل التوفيق،،،

المبحث الأول
معنى الثقافة في اللغة العربية واللغات الأجنبية

أولاً: الثقافة بين المدلول اللفظي والمدلول الفكري:

في ضوء الوصف والتحليل العام لمدلول الثقافة، وطبيعتها وخطرها وأثرها في حياة الأمة - وماضيها وحاضرها ومستقبلها - وتجديدها لعلاقاتها، وتوجيهها لسلوكها، تجئ مشكلة تعريف الثقافة تعريفاً جامعاً مانعاً وهو ما يعبر عنه بالحدّ [١]، وتتأكد هذه المشكلة حين يضيق التحديد اللفظي عن استيعاب المضمون الضخم الواسع المتشعب الذي تدل عليه كلمة (ثقافة) فهي كلمة ذات أبعاد كبرى، ودلالات كثيرة، وإيحاءات متعددة، وتعني في - إطارها العام - آفاق ومستويات يضيق المدلول اللغوي عن ضبطها أو حصرها أو احتوائها. فلابد إذن من تجاوز النطاق اللغوي - من حيث أصل الكلمة واستعمالاتها - إلى النطاق الفكري العام، عند محاولة تعريف الثقافة تعريفاً يشمل جوانبها المتعددة وآفاقها المتنوعة [٢].

ولعل من الضروري أن نلم بأصل الكلمة في اللغة وبعض وجوه استعمالها قبل أن نتقصى ما تدل عليه أو تعنيه في نطاق الفكر والعلوم الإنسانية.

ثانياً: الثقافة في نطاق اللغة العربية:

إن الثقافة - بمدلولها الشائع - كلمة جديدة لا تتصل بالمدلول اللغوي الذي ذكرته معاجمنا العربية إلا على ضروب من التأويل والمجاز، لا تستقيم في كل الأحوال التي تستعمل فيا كلمة (ثقافة). فهي تعني في أكثر الاستعمالات اللغوية: (الحذق والفطنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه، وتقويم المعوج من الأشياء)

أ/ قال الزمخشري:

"ثقف القناة وعضّ بها الثَقَافَ. وطلبناه فثقفناه في مكان كذا أي أدركناه، وثقِفتُ العلمِ أو الصناعة في أوهى مدة: إذا أسرعت أخذه وغلام ثقِفٌ لَقِفٌ، وثَقفٌ لقفٌ، وقد ثقُفَ ثقافةً، وثافقه مثافقةً لاعبه بالسلاح، ومن

المجاز: أدبه وثقفه، ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كنت شيئاً. وهل تهذّبت وتثقّفت إلا على يدك" (٣).

ب/ وفي القاموس المحيط:

"(ثقف) تكرم وفرح ثقفاً وثقفا وثقافة: صار حاذقاً خفيفاً فطناً. وثقفه كسمعه: صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه وأثقِفْتُه، أي: قُيصّد لي، وثقفته تثقيفاً: سوّاه" (٤).

ج/ وفي مختار الصحاح:

ثقف الرجل من باب ظرف صار حاذقاً خفيفاً وثقف من باب طرب لغة فيه. والثقافي: ما تسوّى به الرماح. وتثقيفها تسويتها، وثقفه من باب فهم صادفه" (٥).

وقد وردت لفظة (ثقافة) معطوفة على لفظة (صناعة) في مقدمة (طبقات الشعراء) فقال: "وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان" (٦).

ويلفت بعض الباحثين النظر إلى أنه لا أثر لهذه الكلمة (الثقافة) في لغة (ابن خلدون) الذي يعتبر المرجع الأول لعلم الاجتماع العربي في العصر الوسيط (٧).

كما لم نجد الكلمة مستعملة في العصر الأموي والعباسي، إذ لا أثر لها في اللغة الأدبية أو اللغة الرسمية والإدارية ذلك العصر، فتاريخ الحقبة لم يرد وجود لائحة إدارية خاصة بمنظمة معينة، أو عمل من الأعمال يتصل بالثقافة" (٨).

إن ما يكتنف كلمة الثقافة من صعوبة التعريف الجامع المانع يشبه إلى حدٍ كبير ما يعترض الدارسين من صعوبة تعريف (الأدب) و (الشعر) و (الفن) و (الحضارة) و (المدنية) وغير ذلك من المصطلحات التي أصبحت شائعة في هذا العصر بدلالات لم تكن معروفة لهذه الكلمات من حيث الأصل والاستعمال من قبل (٩).

إن هذه الصعوبة هي: "صعوبة التوفيق إلى حدود منطقية دقيقة لأكثر المصطلحات التي تجرى على الألسن دون أن تتضح مدلولاتها في أذهان مستعمليها أو يكونوا متفقين على ما بها يعنون من ذلك كلمات: الجمال والشعر والخيال والمثالية وغيرها كثير. وذلك أن هناك فرقاً واضحاً بين الأشياء الحسية التي يتلقاها الإنسان بحواسه الظاهرة ويجرى عليها تجاربه المتنوعة، ويبرئها من التأثر بمزاجه وعواطفه، وبين الأشياء الروحية والمعنوية التي يصعب إخضاعها للتجارب المحدودة، والنواميس الثابتة لتغيرها واتصالها بالطبائع والانفعالات. فالأولى يمكن تعريفها بدقة أو قريباً من ذلك كالمثلث والجزيرة والأجسام الصلبة والسائلة، والثانية: تجد معانيها مبهمة غير محدودة حتى في البيئة الواحدة بين المشتغلين بها. وقد يحتال بعض الباحثين للخروج من هذا الإبهام فيضع تعاريف عامة تتناول أكثر المعاني الجزئية، ولكن ذلك يزيد في غموضها إذ لا يعرف القارئ أي المعاني يراد، وربما كان خيراً منه ذلك الذي يذكر للكلمة ما يريد لها من معنى في موضوعه، ثم يشير إلى أن لها معاني أخرى في غير هذا المقام"[١٠].

ثالثاً: الثقافة في اللغات الأجنبية:

إن المشكلة في تعريف الثقافة، ليست مشكلة خاصة بنا؛ بل هي مشكلة الإنسان وعلاقة اللغة بالفكر، وما يطرأ على هذا الفكر من تطور يتجلى في انتقاله من الأمور المحسوسة أو المادية، إلى المفاهيم المجردة والأمور المعنوية. وفي حركته من السهل إلى المركب وما يطرأ على هذا وذلك من نمو يتزايد أحياناً حتى يبلغ حد التركيب المعقد. وقد تختفي صورته الميسرة الأولى إزاء ما يتراكم عليه من صور جديدة، ومن هنا يحاول الباحثون عند بحث مشكلة التعريف للأمور المعنوية – وهو إطلاق الاسم على شيء ما – أن يتتبعوا أصل التعريف، أي: معرفة المدلول الذي كان مراداً بدءاً بإطلاق الاسم على الشيء، ثم البحث بعد ذلك فيما طرأ على هذا المدلول من تطور، ومحاولة معرفة العلاقة أو العلاقات الجديدة في

ضوء العلاقة الأصيلة الأولى، وإذا أعياهم ضبط هذه العلاقات أو حصرها في نطاق الحقيقة اللغوية، كان لهم في المجاز سعة وأي سعة [١١].

ما هي صورة مشكلة تعريف الثقافة في اللغات الأجنبية؟:

١/ "إن الثقافة" في اللغات الأجنبية – الفرنسية والإنجليزية والألمانية – يعبر عنها بلفظة (Culture) وتفيد معني الزراعة والاستنبات وقد أصبحت كلمة الثقافة في الاصطلاح العرفي في العربية وغيرها تفيد معني ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية والخبرة العملية، التي تحدد طريقته في التفكير، ومواقفه في مختلف طرق الحياة، من أي جهة حصلت تلك المعرفة وتلك الخبرة، سواء أكانت من البيئة أو المحيط أو المدرسة أو المهنة أم من طرق أخرى غيرها" [١٢].

لابد لنا أن نأخذ بمزيد من التفصيل عن دلالة هذه الكلمة (Culture) من حيث أصلها وما طرأ عليه من تطور فيما بعد [١٣]:

أ- كانت هذه الكلمة تدل من حيث الأصل اللاتيني في العصور القديمة والوسيطة على تنمية الأرض ومحصولاتها. ويقال: إن (شيشرون ١٠٦-٤٣ ق م) – الخطيب والسياسي والكاتب الروماني المشهور – كان أول من استعمل هذه الكلمة بمعناها المجازي فسمى الفلسفة (Culture mentis) أي فلاحة العقل أو تنميته، ولكن هذا الاستعمال لم يلق الرواج كثيرا في اللغة اللاتينية في أول الأمر، غير أن الحال قد تغير فيما بعد.

ب- ولما كانت اللاتينية أم اللغات الأوربية من إنجليزية وفرنسية وألمانية فقد استعملت كلمة (الثقافة) في أوائل العصور الحديثة – في الإنجليزية والفرنسية – بمدلولها المادي والعقلي، ثم جاء الكتاب الفرنسيون – كفولتير وأقرانه – في القرن الثامن عشر الميلادي فأطلقوا هذه الكلمة دون إضافتها إلى أمر مادي أو معنوي، وغدت بعد ذلك تدل على تنمية العقل والذوق، ثم انتقلت بعد ذلك إلى حصيلة عملية هذه التنمية وهي: المكاسب العقلية والأدبية والذوقية.

ج- أما في الإنجليزية فإن أول نص تستعمل فيه هذه الكلمة ربما يتفق مع ما ذكرنا سابقاً – حسب معجم أكسفورد – إلى عام ١٨٠٥م ولا يزال هذا المفهوم هو المعني السائد في اللغات الغربية، ولم ينتقل من الفرنسية إلى الألمانية – بهذا المعنى – إلا في أواخر القرن الثامن عشر.

وقد برز هذا المعني في القرن التاسع عشر عند المؤرخ والعالم الاجتماعي الألماني (Cuslav - Klemm) الذي يعتبر مؤسس علم (الأنثروبولجيا) الحديث: أي علم الإنسان الذي يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعرافه وعاداته ومعتقداته.

ولا تزال كلمة (Culture) تستعمل في الفرنسية والإنجليزية ولغات أخرى بمعنى الثقافة الفردية والثقافة بوجه عام. وكان من الطبيعي إزاء تقدم العلوم الطبيعية والتطبيقات الصناعية أن يعود إليها في هذه العلوم والتطبيقات معناها الأصيل أي عملية إنماء الأشياء المادية كالجراثيم واللآلئ بـ (الزرع) و (التصنيع) [١٤].

وقال صاحب معجم (المورد) في مادة (Culture) هي: حراثة – تثقيف – تهذيب – ثقافة – حضارة – أو مرحلة معينة من مراحل التقدم الحضاري – الاستنبات: زرع البكتريا (الأنسجة الحية) للدراسة العلمية وللأغراض الطبية [١٥].

المبحث الثاني
الثقافة في حياة الأمم

أولاً: الثقافة معرفة عامة:

في حياة كل أمة مفاهيم تحرص عليها وتعمل على ترسيخها، وتعميق إدراكها في شئونها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، وغير ذلك من أمور الحياة، وتسعى كل أمة سعياً حقيقياً دائباً على أن تكون مفاهيمها واضحة الدلالة في ذاتها، مرعية الجانب لدي أبنائها، واسعة الانتشار والتداول لدي غيرها، وتتخذ لتحقيق ذلك وسائل شتى: فتؤلف الكتب، وتعقد المؤتمرات، وتقوم بالدراسات، وتصدر النشرات، وتضع مناهج التربية والتعليم، وتستخدم – بوجه عام – كل وسائل الإعلام والتوجيه لتوضيح هذه المفاهيم وشرحها، وبيان أسسها وخصائصها، وتفصيل وجوه النفع فيها (١٦).

إن هذه المفاهيم الأساس وما ينبثق عنها ويتعلق بها، هي في حقيقتها ما يمكن أن يطلق عليه – بشكل عام – ثقافة الأمة، أو حضارتها، مع الأخذ في الاعتبار ما بين الثقافة والحضارة من فروق يدل عليها تطور الكلمتين في اللغة العربية واللغات الأخرى.

ويهتم قادة الفكر والثقافة على نقلها من حيز النظر المجرد إلى الواقع البشري الحي ووصل حياة الناس بها، بحيث تكون مصدر فكرهم وشعورهم، وطابع سلوكهم، وسمة حياتهم العملية.

ومن هنا يخرج مدلول الثقافة عن قصد المعرفة المجردة إلى المعرفة الهادفة. أو بمعني آخر: من المعرفة الساكنة التي لا تتجاوز حدود العمل الذهني، إلى المعرفة المحركة التي تحدث تفاعلاً موجهاً واضح التأثير مع تطلعات الفرد والجماعة (١٧).

وقد ذكر الكاتب (أحمد بن حمد بن عبدربه الأندلسي) موضحاً هذه الفكرة في وصف العلم والأدب: "فإنهما القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا، وفرق ما بين الإنسان وسائر الحيوان، وما بين الطبيعة الملائكية والطبيعة البهيمية، وهما مادة الفعل وسراج البدن، ونور القلب وعماد

الروح، وقد جعل اللّه بلطيف قدرته، وعظيم سلطانه، بعض الأشياء عمداً لبعض ومتولداً من بعض، فإحالة الوهم فيما تدركه الحواس تبعث خواطر الذكر، وخواطر الذكر تنبه رؤية الفكر، ورؤية الفكر تثير مكامن الإرادة، والإرادة تحكم أسباب العمل، فكل شيء يقوم في العقل ويمثل في الوهم يكون ذكراً، ثم فكراً، ثم إرادة ثم عملاً" (١٨).

ولم يعرف في تاريخ الأمم في الماضي أو الحاضر أن أمةً أهملت نشر ثقافتها، أو تركتها تذوب في غيرها من الثقافات، أو تتلاشى في عقول أبنائها، لتحل محلها ثقافات أخرى. ذلك لأن الثقافة في حقيقتها هي الصورة الحية للأمة وهي عقيدتها التي تؤمن بها، والمبادئ التي تحمل عليها والنظم التي تعمل على التزامها، والتراث الذي تخشى عليه الضياع والاندثار، والفكر الذي تود له الذيوع والانتشار.

لأن هذه الصورة إذا اهتزت أو اضطربت ملامحها أو طمست معالمها لم يكن للأمة شخصية تميزها، أو سمات تنفرد بها.

ثانياً: أمتنا على مفترق طرق:

إن أمتنا اليوم على مفترق طرق شتى، تتربص بها قوى الشر في كل اتجاه من أجل أن تقوض رسالتها وتطوى رايتها وتطفئ مشاعلها – كما حاولت من قبل – وبوسائل مشابهة لما كان من قبل قديماً رغم أنها قد احتلت بعض المواقع الرئيسة لتتابع منها حربها الضارية وهدفها الرهيب تجاه الأمة الإسلامية، إلا أن وعى أمتنا لهذه الحقيقة، وإدراكها لطبيعة المعركة، يحتم عليها أن تكون أكثر إصراراً على سلوك سبيل الإسلام وحده في التربية والتشريع والحكم، وأقوى اعتصاماً بحبل اللّه، وأوفى إتباعا لهداه في بناء الفرد وإنشاء المجتمع بلبنات الفكر والثقافة والاقتصاد والتوجيه. استناداً لقوله تعالى: (قَدْ جَاءكُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [سورة المائدة الآيات ١٥-١٦].

ولابد للمسلم في عصرنا الحاضر الذي ازدحمت فيه التيارات الفكرية والنظم الاجتماعية، من أن يعرف طريقه ويحدد وجهته، ويدرك ما يحيط به

من اتجاهات حتى تكون خطاه في هذه الحياة على أقوم السبل، وأوضح المناهج.

والمسلم بحاجة على مزيد من دفقات النور من الينبوع الأصيل الذي يبدد ظلمات قرون طويلة من الجاهلية التي صنعها مردة الشر وجنود الشيطان. وعليه أن يدرك أن اللّه قد جعله خليفة له في هذه الأرض وهذه الخلافة تحتاج إلى أن يعدّ نفسه إعداداً ملائماً للقيام بها. وخلافة اللّه في الأرض تعني إقامة لحكم اللّه، وتطبيقاً لشريعته وللإرشاد من ضلّ وإنقاذ من انحرف وهوى، وتحرير من استعبدته الأهواء، واستبد به طواغيت الأرض، فشوهوا فطرته، وأفسدوا عقيدته وأذلوا كرامته.

وقد أكد اللّه هذه الخلافة في أكثر من آية، منها قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ) [سورة الأنعام الآية ١٦٥]، وكذلك قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) [سورة يونس الآية ١٤].

وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن اللّه مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النار فإن أول فتنة بني إسرائيل كان في النساء "(١٩).

وإن رسالة الإسلام – في أصولها وفروعها – بناءٌ متكامل يتلاءم مع فطرة الإنسان الطيبة، واستعداده للخير، ولدي المسلمين اليوم هذا الرصيد الضخم الذي يجب أن يتحول إلى تفاعل منتج بين العقيدة والسلوك والعمل - ويصاغ في الإطار النفسي والفكري والخلقي – التزاماً كاملاً للمنهج الرباني، واحتكاماً تاماً إلى مقاييس الإسلام وسعياً دائماً إلى الغاية الأساس وهي إرضاء اللّه تبارك وتعالى، وأداء الأمانة التي حملهم اللّه إياها، وتبليغ الرسالة التي ندبهم لها (٢٠). وذلك امتثالاً لقوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) [سورة الأحزاب الآية ٣٦].

فإذا صحت العقيدة وصدق الإتباع، تحققت الاستجابة الصحيحة لنداء اللّه عزّ وجلّ في قوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم

لمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [سورة الأنفال الآية ٢٤]. وذلك وحده هو سبيل تحقيق وعد اللّه تبارك وتعالى في أن يعيش المؤمنون على هذه الأرض أعزة أحراراً كرماء سعداء، تسودهم المحبة، ويعمهم الخير، وترفرف فوق ربوعهم ألوية السلام، ويؤكد ذلك قوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) [سورة النور الآية ٥٥] وكذلك قوله تعالى: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) [سورة القصص الآية ٥].

بهذا المنهج الرباني وحده يستطيع المسلمون أن يواجهوا تحديات الحضارة المعادية، والثقافات المسمومة، والمفاهيم الدخيلة المغلوطة، وما جاء به الاستعمار في فترة سيطرته وعنفوان تسلطه من مناهج ملتوية في الفكر والاقتصاد، والأخلاق والاجتماع، وعلى الجيل الإسلامي أن يدرك أن دعوة اللّه تبارك وتعالى هي البرهان القوى الساطع على أحقية الوجود الإسلامي الرائد في هذه الحياة. وبهدى هذه الدعوة وأدلتها القوية في الكون والحياة والناس، وأهدافها السامية في التحرير والتطهير، ينقى المجتمع البشري من أدران الظلم والفوضى، ويحيا الإنسان حياة السعادة والطهر والاستقامة والكرامة وتلك هي معالم الطريق التي تتحقق بها لبني البشر قيم الحق والخير والعدالة والسلام.

المبحث الثالث
الثقافة والمجتمع

يتناول علماء الاجتماع (الثقافة) في دراستهم لطبيعة المجتمع الإنساني من حيث أنها عنصر مهم من عناصر التراث الاجتماعي فإلى الثقافة يعود الفضل فيما يصل إليه أفراد المجتمع من مستوى اجتماعي وحضاري. وهي بما فيها من مفاهيم ومدركات مصطلح عليها في المجتمع تكسب الجماعة صفات وخواص مميزة، تنعكس في فكر أفراد الجماعة وأعمالهم. وهي من أبرز العوامل فيما يقع من التغير في المجتمعات الإنسانية، لذا يأخذ معنى الثقافة في الدراسات الاجتماعية ذلك المنحى الذي يتصل بكل أوجه النشاط الإنساني الذي جاء نتيجةً للاجتماع البشري، فهي تشمل في تعريف علماء الاجتماع ما يلي:

أ- ما يتلقاه الفرد عن الجماعة من مظاهر الفنون والعلوم والمعارف والفلسفة والعقائد وما إليها.
ب- النماذج المختلفة التي يصب فيها الأفراد سلوكهم وتصرفهم.
ج- الطرق التي يوجدها أي مجتمع لسد حاجاته الأساس ولتقوم بتنظيم علاقته الاجتماعية [٢١].

ومن هذا يتضح أن الثقافة في تفسيرهم، هي كل ما يتصل بمقومات الفرد والمجتمع من النواحي الاعتقادية والفكرية والسلوكية والاجتماعية.

وهي كما قال (تيلر Tailer): "ذلك الكل المعقد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من القدرات" [٢٢].

وقد رأى (كروبر Kroper): "أن العرف هو عادة نفسية وبيولوجية معاً ارتقت إلى المستوى الاجتماعي وارتبطت بها قيم ثقافية" [٢٣].

ويري أن هنالك للمحتوى الثقافي المتفاوت الغني (ثوابت ثقافية) كالدين والأسرة والحرب وتبادل الأفكار، ويري أنها بمثابة الأطر (البيوسيكولوجية) – النفسية – لهذا المحتوى الثقافي [٢٤].

وحول علاقة الثقافة بالدين بوجه خاص يري بعض الباحثين الغربيين (إليوت): أن الثقافة ليست إلا تجسيماً للدين. ورد بلك على (أرنولد) الذي عدّ الثقافة أشمل من الدين[٢٥].

أولاً: علاقة الثقافة بالدين والمجتمع:

ينتهي مفهوم علاقة الثقافة بالمجتمع والدين عند الباحثين الغربيين إلى ما انتهى إليه من تباين في الرأي وتباعد في الاتجاه ونلخص ذلك في الآتي:

إن الفكر الغربي بعامة ينظر إلى الدين على أنه قضية ميتافيزيكية تخص الفلسفة، كما يعد الدين ظاهرة اجتماعية، ويعالجه كما يعالج أي ظاهرة أخرى من ظواهر المجتمع ومؤسساته، ولا يري مانعاً – إن لم يجد ذلك ضرورياً – من إخضاع الدين – من حيث كونه قضية فلسفية – للمفاهيم الفكرية الجديدة الناشئة من تطور الدراسات الفلسفية، غير آبه لما ينجم عن ذلك من إنهيار العقيدة، ودمار القيم، وضعف سلطان الوازع الديني على النفوس، وأوضاع الحياة. كما يحرص هذا الفكر الغربي نفسه على أن يفصل الدين عن المجتمع وما يتصل به من نظم وأوضاع، ويحصره بالأمور الروحية فحسب. وعلى هذا فإن تفسير الباحثين الغربيين للثقافة، وتحديد علاقتها بالمجتمع، من حيث كونها عنصراً من عناصر تراثه، أو عاملاً من عوامل التغير فيه، لا يضع الدين حيث يجب أن يكون من حياة الإنسان باعتباره السلطان النازع الوازع، الذي يضمن تماسك المجتمع، واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، وبكونه خير ضمان لقيام التعامل بين الناس على قواعد العدالة والنصفة، والتعاون المثمر الخير، ولا ينظر هذا الفكر الغربي – الذي سيطرت عليه المادية – إلى الدين من زاوية حقيقته الأصيلة التي تقرر أنه خطوة إنسانية، كما أنه ضرورة اجتماعية، فهو الذي يؤكد الإيمان بقيمة الفضيلة وكرامة الإنسانية، وليست تداني سلطانه على النفس أي سلطة أو قوة أو نظام[٢٦]. ولقد التبس في أذهان هؤلاء الدين الحق بالأديان الباطلة سواء منها الوثنيات التي عرفتها البشرية في أديان الفرس والإغريق والهنود، والعرب في جاهليتهم، والتي لا تعدو أن تكون

ضرباً من الخيالات والأساطير والأوهام، أو الوثنيات الأخرى التي وجدت نتيجة الانحراف عن عقيدة التوحيد، كما جاء بها موسى وعيسى عليهما السلام، هذا الانحراف الخطير الذي نجم عنه ذلك التصور الفاسد لحقيقة العقيدة وأثرها في حياة البشر (٢٧). ولقد جهلوا الإسلام، الدين الحق، الذي يسمو بالإنسان عن هذه التصورات الفارغة، التي جاءت بها العقائد الوثنية التي اصطبغت بها ديانة العرب في جاهليتهم، والفرس واليونان والهنود. والتصورات الخرافية التي تحولت إليها – نتيجة التغيير والتزوير – اليهودية والنصرانية.

ولو أمعنوا النظر، وطرحوا التعصب، وبحثوا بتجرد كامل في حقيقة الإسلام، لعرفوا أنه ليس قضية ميتافيزيكية محضة يستوى في ذلك مع الأديان الباطلة والمنحرفة، والفلسفات المختلفة التي تضرب في تيه من الأوهام والجدال العقيم بل هو الدين الذي جاء لينقذ البشرية كلها من الركام الذي كان ينوء بأفكارها وحياتها ويثقلها، ومن التيه الذي كانت أفكارها وحياتها شاردة فيه، ولينشئ لها تصوراً خاصاً متميزاً متفرداً، وحياة أخرى تسير وفق منهج اللّه القويم، وإن هذا التصور ليكفل تجمع الشخصية والطاقة في كيان المسلم الفرد والجماعة، وينفي التمزق والانفصام التي تسببها العقائد والتصورات الأخرى (٢٨).

ثانياً: الثقافة وقيم المجتمع:

١- إن ثقافة أي أمة يجب أن تقوم على أساس من القيم التي تسود مجتمعها، وهي قيم وثيقة الصلة بالعقيدة والفكر، والسلوك ونمط الحياة.

٢- إذا نمت الثقافة نمواً صحيحاً في جو القيم الصالحة، ومناخها السليم فإنها تكون مصدراً لحلول ما يعترض المجتمع من مشكلات، والوفاء بكل ما يجدُ في حياتهم من حاجات.

٣- فلابد أن تكون الثقافة تعبيراً حياً عن القيم الأساس التي تعطى المجتمع ملامحه الصحيحة، وترسم له وجهته الرشيدة.

٤- من هنا تأخذ ثقافة أي مجتمع معنى تفاعله الذي يؤكد مدى تقديره واعتزازه للقيم التي يؤمن بها.

محور القيم الإسلامية:

محور القيم الإسلامية يسمو في حقيقته على الاعتبارات الأرضية كلها، مهما كان لهذه الاعتبارات من وزن وتأثير، وضغط شديد على الفرد والجماعة في أي مكان أو زمان، ذلك أن الإسلام لا يقيم أي وزن لما تواضع عليه الناس من قيم المادة والقوة، والجنس واللون، والعصبية والثراء، وما إلى ذلك من القيم الأخرى. إذا تجردت هذه القيم عن الإيمان والتقوى، فإنه بذلك يرمي إلى أن ينطلق الإنسان – فكراً وسلوكاً وواقعاً – في حدود القيم الباطلة المتوارثة، والتي تراكمت في عصور الجاهلية، وأصبحت بسبب البعد عن المنهج الحق أموراً ذات وزن واعتبار في حياة الناس، ولا يجد الإسلام لبقائها أي مبرر، مهما اكتسبت من قوة السيطرة على النفوس وأوضاع المجتمع، بسبب عنصر الاستمرار التاريخي، أو الإلف والشيوع، أو الملابسات الاجتماعية [٢٩].

ولقد تنوعت الوسائل والأساليب التي جاءت بها دعوة الإسلام لتقرير هذه القيم وتحقيقها، وجعلها روح سلوك الفرد، وطابع المجتمع، وسمة الحياة الإسلامية. والدعوة تعمل على توجيه المؤمنين إلى أن يستمدوا موازينهم من هذه القيم التي أقامتها في نفوسهم ومجتمعهم الأعراف الخاصة، والمواريث المألوفة التي لا تتلاءم مع حقيقة الدعوة ومبادئها وأهدافها.

وفي كتاب اللّه عزّ وجلّ وسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم وسيرته، وحياة الصحابة الكرام رضوان اللّه عليهم، أمثلة لا حصر لها من تربية المؤمنين على هذه القيم، وتفاعلهم معها، ومن هذه النماذج:

أ/ ما قرره القرآن الكريم في سورة (عبس) – في إطار التوجيه والعتاب لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم – من أن "القيمة الوحيدة التي يرجح بها وزن الناس" هي قيمة الإيمان والتقوى، وهي منفصلة عن كل ما تعارف عليه الناس من موازين واعتبارات.

وقصة ذلك أن النبي صلى اللّه عليه وسلم، كان مشغولاً بأمر نفرٍ من سادة قريش، يدعوهم إلى الإسلام، ويرجو بدخولهم فه خيراً كثيراً، لما لهم من قوة وجاه، ومال ونفوذ في قولهم – حين جاءه (ابن أم مكتوم) الرجل الفقير الأعمى – يقول: يا رسول اللّه. أقرئني وعلمني مما علمك اللّه. فيكره رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من ابن أم مكتوم قطعه لكلامه واهتمامه، فيعبس ويعرض فينزل القرآن يعاتب الرسول عتاباً شديداً على موقفه هذا، ويوجهه بعد ذلك إلى "حقيقة هذه الدعوة وكرامتها وعظمتها ورفعتها واستغنائها عن كل أحد، وعن كل سند، وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها، كائناً ما كان وضعه في موازين الدنيا"[٣٠]. وفي ذلك يقول اللّه عزّ وجل: (عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى ۞ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۞ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى ۞ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۞ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى ۞ وَهُوَ يَخْشَى ۞ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۞ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۞ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۞ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۞ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۞ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۞ كِرَامٍ بَرَرَةٍ) [سورة عبس الآيات ١-١٦].

ب/ كذلك فقد آخى الرسول صلى اللّه عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة بين المهاجرين والأنصار أخوة إيمان وحب وإيثار، فربطت هذه الأخوة بين قلوب المؤمنين برباط لا ينفصم، لأنها فوق المنافع والمطامع، والعصبيات والأهواء. فوضع الإسلام بذلك القيم الجديدة والموازين الفاصلة، التي تتحد بها علاقات القرب والبعد، ويتعين على أساسها موقف الولاء والعداء، دون أي اعتبار لما تواضع الناس في مجتمع الجاهلية من قيم العصبية أو الجنس أو اللون، تلك القيم الجاهلية التي كانت مدعاة إلى تمزيق الشمل، وإثارة الأحقاد، والتي صنفت الناس تصنيفاً يزكي بينهم نار العداوة والبغضاء، وفي ذلك يقوله سبحانه وتعالى مذكراً المؤمنين بهذه الأخوة الكريمة التي جمعتهم بعد تفرق، ووحدتهم بعد تمزق، وجعلت منهم أخواناً متحابين بعد أن كانوا أعداء متناحرين: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) [سورة آل عمران الآية ١٠٣].

إن هذه الأخوة التي منّ اللّه بها على عباده المؤمنين آصرة برٍ وتعاطف، ودعامة تآزر وتناصر، كانت إحدى القيم الإسلامية الكبرى التي أنعم اللّه بها على هذه الأمة، وعمقت في فكر المؤمن ووجدانه روح الاعتزاز بهذا الإسلام، وشدة الحرص على دعوته، والعمل على ما يقوى كيان المؤمنين بها، المنضويين تحت لوائها [٣١].

٢/ كان زيد بن حارثة مولى لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فزوجه بنت خالته زينب بنت جحش الأسدية، كما آخي بينه وبين عمه حمزة بن عبدالمطلب، وجعله الأمير الأول في غزوة (مؤتة) يليه ابن عمه جعفر بن أبي طالب وعبداللّه بن رواحة الأنصاري، فجعل بذلك قيمة العقيدة فوق أي قيمة أخرى من قيم النسب والعصبية.

ثم كان آخر عمل من أعماله صلى اللّه عليه وسلم أن أمرّ أسامة بن زيد على جيش لغزو الروم، يضم كثرة من المهاجرين والأنصار فيهم أبوبكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة والسابقين إلى الإسلام، وقد تحلل بعض الناس من إمارة أسامة وهو حدث، وفي ذلك قال ابن عمر رضي اللّه عنهما: بعث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بعثاً أمرّ عليه أسامة بن زيد رضي اللّه عنهما، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال النبي صلى اللّه عليه وسلم: "إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل. وأيم اللّه إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبّ الناس إلىّ، وإن هذا لمن أحبّ الناس إلىّ" [٣٢].

وقد بادر أبوبكر رضي اللّه عنه بعد توليه الخلافة إلى إنفاذ بعث أسامة، وسار يودعه بنفسه إلى ظاهر المدينة، وكان أسامة راكباً فاستحيا أن يشيعه الخليفة راجلاً فقال: "يا خليفة رسول اللّه لتركبنّ أو لأنزلنّ"، فقال أبوبكر: "واللّه لا تنزل ولا أركب. وما علىّ أن أغبر قدميّ في سبيل اللّه ساعة" [٣٣].

ثم يضرب أبوبكر مثلاً رائعاً في أدب الإسلام ورعايته النظام حين يستأذن أسامة في أن يتخلف عمر بن الخطاب – وهو جندي في الجيش الذي يقوده أسامة – عن الخروج لحاجته إليه بعد أن وليّ أعباء الخلافة فيقول

لأسامة: "إن رأيت أن تعينني بعمر فأفعل" فيأذن أسامة أمير الجيش لعمر في عدم الخروج استجابةً لطلب أبي بكر رضي اللّه عنهم جميعاً.

وتمتد هذه الروح حين يلي الخلافة عمر بن الخطاب بعد وفاة أبي بكر رضي اللّه عنهما فيفرض لأسامة نصيباً أكبر مما يفرضه لأبنه عبداللّه، فيسأله ابنه في ذلك فيقول: "يا بني، كان زيداً رضي اللّه عنه أحبّ إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من أبيك، وكان أسامة أحب إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم منك. فآثرت حب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على حبي" (٣٤).

ثالثاً: علاقة الثقافة والحضارة:

يعمد بعض الباحثين إلى إيجاد فواصل بين مدلولي كلمتي: (الثقافة) و (الحضارة) بحيث يجعل الأولى خاصة بالأمور المعنوية، والثانية بالأمور المادية. وقد يكون لهذا ما يبرره، غير أن الإلحاح على مثل هذه الفواصل في مدلول كلٍ من الكلمتين إنما يعود – من حيث الأصل – إلى ما يحيط بهما من لبسٍ وغموض في النطاق اللغوي، وجاءت الاستعمالات العامة لهما عاملاً يزيد في هذه التفرقة، ويعمق هذه الفواصل (٣٥).

درجت الاستعمالات الشائعة لكلمة (ثقافة) على أنها: التعبير عن الدراسات الأدبية والنظرية والعقلية والفلسفية، وكأنها بهذا قد اقتصرت على ما يتعلق بالأمور المعنوية والروحية. أما كلمة (حضارة) فقد شاع استعمالها - بمختلف صور الاشتقاق – للدلالة على الوسائل والمخترعات والابتكارات التي وصل المجتمع الإنساني بها إلى آفاق بعيدة من الرقي والتعظيم المادي، والرفاه في الحياة.

كما أسلفنا في أصل معني كلمة (الثقافة) من الناحية اللغوية في العربية وغيرها من اللغات الأجنبية، ثم ألمحنا إلى مدلولها في الدراسات الاجتماعية وعلاقتها بالمثل الإنسانية للمجتمع. أما أصل المعني اللغوي للحضارة – بفتح الحاء وكسرها – فهي: الإقامة في الحضر، من مدن وقرى، بخلاف (البداوة) التي هي الإقامة المتنقلة في البوادي. وعلى هذا فأصل دلالتها على الاستقرار الناشئ عن زراعة الأرض.

فإذا كانت الزراعة هي سبيل بناء المجتمع للتطور والتقدم، ثم بناء المدن والاستقرار، فإن أصول المدنية الإنسانية بجوانبها المادية والمعنوية تكون نشأت مع حاجة الإنسان إلى تحصيل قوته من الأرض التي سخرها اللّه له، وبهذا يكون معني الحضارة – من حيث الأصل – أوسع دلالة من الثقافة، لأنه إذا كانت الثقافة هي نتاج المعرفة وتنمية العقول، فمن الواضح أنها لم تنشأ إلا بعد الاستقرار الذي تمثل في سكنى المدن والأمصار.

وفي هذا يقول ابن خلدون: "إن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة، والسبب في ذلك أن تعاليم العلم من جملة الصنائع، وقد كنا قدمنا أن الصنائع إنما تكثر في الأمصار، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش، فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان، وهي العلوم والصنائع، ومن تشوق بفطرته إلى العلم فمن نشأ في القري والأمصار غير المتمدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو صناعي لفقدان الصنائع في أهل البدو. ولابد له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المتبحرة شأن الصنائع كلها"[٣٦].

دلالة الثقافة والحضارة على مفاهيم واحدة:

التفرقة بين الحضارة والثقافة ليست أمراً لابد منه، وذلك لأن المظاهر الحضارية المادية والمعنوية جميعاً تتضافر في إنشاء النظم الاجتماعية التي تعد (الثقافة) قلبها النابض ولبناتها الأساسية. وكذلك مما يؤكد علاقة التلازم بين الثقافة والحضارة، وتجاوب ما تدلان عليه من الناحيتين المادية والمعنوية، أن الحضارة إذا كانت هي التطبيق المادي للتراث الثقافي، فهي وليدة هذا التراث في البيئة التي تقوم فيها، وهي المرآة التي تعكس لنا مقومات ثقافة المجتمع وخصائصها العامة.

نري أن كثيراً من الباحثين ربط ربطاً وثيقاً بين الحضارة والثقافة ونذكر بعض الأقوال: تحدث أحد الباحثين عن الحضارة الغربية بقوله: "وكانت الحضارة مجموع عقائد ومناهج فكرية، وفلسفات ونظم سياسية واقتصادية وعلوم طبيعية وعمرانية واجتماعية، وتجارب خاصة مرت بها

الشعوب الأوربية التي تزعمت هذه الحضارة في رحلتها الطويلة، وكانت مظهر تقدم العلم البشري وعلوم الطبيعة، وعلم الآلات، والعلوم الرياضية، ومجموع نتائج جهود علماء وباحثين عبر القرون، فكانت مزيجاً غريباً من أجزاء لا يكون الحكم عليها واحداً متشابهاً، وكانت مزيجاً من العلم والقيم، والصواب والخطاء، في النتائج والأحكام" (٣٧).

وفي ضوء الربط الوثيق بين الثقافة والحضارة يري الباحث (مالك بن نبي) أن الثقافة تصبح نظرية في السلوك، أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا الربط أيضاً يقاس الفرق الضروري بين الثقافة والعلم، وينتهي إلى ما يؤكد التلازم والربط بين الثقافة والحضارة فيقول: "فالثقافة إذن تتعرف بصورة علمية على أنها: مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولى في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا، هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته" (٣٨).

كما يقول الباحث (أحمد المبارك) عن الحضارة بأنها: "مجموع المعارف العلمية والتشاريع والنظم والعادات والآداب التي تمثل الحالة الفكرية والاقتصادية والخلقية والسياسية والفنية، وسائر مظاهر الحياة المادية والمعنوية في مرحلة من مراحل التاريخ، وفي بقعة من بقاع الأرض سواءً شملت شعباً أم أكثر"(٣٩).

ويتضح احتواء الحضارة للجانب الثقافي، وعدم إقامة أي حواجز بينهما في قوله: "إن غاية الحضارة الارتفاع بالحياة الإنسانية، والحياة الإنسانية معقدة كثيرة الجوانب. فإن فيها حياةً فكرية عقلية، وحياة مادية عملية معاشية، وحياة نفسية خلقية، وحياة اجتماعية، إلى جانب الحياة الفردية. والحضارة الصالحة الخيرة هي التي ترتفع بهذه الجوانب كلها، وتعدل بينها، فلا يظلم جانب منها جانباً آخر، ولا ينمو واحداً ويضمر آخر".

خاتمــة:

وتشتمل على:

أولاً: النتائج التي توصلت إليها:

١. لكل أمة حضارتها وثقافتها التي تحدد هويتها وتراثها وما أن تهمل أمة من الأمم حضارتها أو ثقافتها حتى تصبح بلا هويــة ولا وجهــة محددة.
٢. الثقافة الإسلامية وضح أنها من أكثر الثقافات الإنســانية رســوخاً وتفاعلاً مع المجتمع ولها القدرة على معالجة المشاكل الاجتماعية التي تحدث للمجتمع سواء أفراداً أم جماعات، لارتباطها بدين اللّه وتعاليمه وأخلاقه.
٣. الأمة الإسلامية بحضارتها وثقافتها سادت العالم وكان سبباً فــي اهتمام الغرب والبلدان الأخرى الحــرص علــى نشــر ثقافاتهــا وحضاراتها والعمل بخبث على تذويب الحضارة والثقافة الإسلامية التي أحسوا بأصالتها وعمقها في نفوس المسلمين وارتباطهم بها.
٤. قوة وسائل وأساليب الغرب في نشر ثقــافتهم وحضــارتهم وقــوة تأثيرها على المجتمعات الإســلامية المختلفــة جعــل الثقافــة الإسلامية تتلاشى من مفاهيم كثير من المعاصرين وخاصةً الشباب وأصبح التأثر بالثقافة الغربية كبير وخطير.

ثانياً: بعض التوصيات:

١- الاهتمام بمعرفة ثقافتنا ودراسة تراثنا وتاريخ أمتنا الإســلامية أمراً يجل الرجوع إلى أصل الثقافة والحضارة التي كانت ســائدة من قبل.
٢- محاربة الثقافة الغربية بتفنيدها وتوضيح فسادها وخطورتهــا على أذهان شباب المسلمين أمراً يجعل الشباب يعيدون النظر في انبهارهم بها وجريهم ورائها.

٣- المؤسسات التربوية والنشاطات الثقافية في بلاد المسلمين لها جهدها الكبير في إنقاذ الموقف وإجلاء عظمة ومتانة ثقافتنا الإسلامية وإعادة شبابنا إلى أصولهم وتراثهم الديني الذي يربطهم بربهم ومجتمعهم وموروثاتهم الإسلامية النبيلة.

والله الموفق،،،

هوامش البحث:

١. مناهج البحث عند مفكري الإسلام: علي سامي النشار، مبحث التعريف وأقسامه وطرقه ص ٤١.
٢. لمحات في الثقافة: مرجع سابق ص ٢٢.
٣. أساس البلاغة: الزمخشري، مادة (ثقف).
٤. القاموس المحيط. مادة (ثقف): مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: أنس محمد الشامى وزكريا جابر أحمد، القاهرة، دار الحديث ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص ٢١٨.
٥. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ط١، منشورات دار مكتبة الهلال ١٩٨٣م، ص ٨٤. ثقف الرجل من ظرف: صار حاذقاً خفيفاً فهو ثقف.
٦. طبقات الشعراء: لأبي عبداللّه محمد بن سلام الجُمحَي (٢٣٢هـ).
٧. مشكلة الثقافة: مالك بن نبي، ص ١١.
٨. المرجع السابق: ص ١١.
٩. لمحات في الثقافة: مرجع سابق، ص ٢٦.
١٠. أصول النقد الأدبي: أحمد الشايب، ص ١٦.
١١. أسرار البلاغة: عبدالقاهر الجرجاني، (مدى الحقيقة والمجاز) ص ٣٠٢.
١٢. سلطان الثقافة الغربية على الفكر الإسلامي المعاصر: الأستاذ محمد المبارك، (محاضرة).
١٣. لمحات في الثقافة: مرجع سابق، ص ٢٩.
١٤. في معركة الحضارة: زريق.

١٥. المورد: منير بلعبكي، ص ٢٣٨، الطبعة الثالثة.
١٦. لمحات في الثقافة الإسلامية: عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، الطبعة ١٤ سنة ١٤٢٩هـ/١٩٩٨م.
١٧. المرجع أعلاه ص ١٢.
١٨. العقد الفريد: في وصف العلم والأدب، ج٢، ص ٢٠٦، ذكره: أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي.
١٩. أخرجه مسلم في صحيحه – ٤٨ – كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ج٣، ص ٢٠٩٨، ح رقم ٢٧٤٢. صحيح مسلم: للإمام أبوالحسين بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى ط ٢، تونس دار سحنون للطباعة والنشر ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٢٠. لمحات في الثقافة الإسلامية: مرجع سابق ص ١٩.
٢١. لمحات في الثقافة: مرجع سابق ص ٣٢.
٢٢. علم الاجتماع ومدارسه: دكتور مصطفى الخشاب، ص ١٨٩.
٢٣. أصالة الثقافات: ص ٩.
٢٤. المرجع السابق: نفس الصفحة.
٢٥. وحدة الثقافة والتاريخ في الشعر الحديث: دكتور أحمد محمد الحوفي ص ٥.
٢٦. الدين: دكتور محمد عبدالله دراز، ص ٩١.
٢٧. لمحات في الثقافة: مرجع سابق، ص ٣٤.
٢٨. المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية: عمر عودة، ص ٢٤/ وخصائص التصور الإسلامي: سيد قطب ص ٢٢ و ٢٨.
٢٩. لمحات في الثقافة: مرجع سابق ص ٣٧.
٣٠. في ظلال القرآن: سيد قطب، ج٣، ص ٣٨-٥١.
٣١. المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية: عمر عودة، ص ٢٠٦.
٣٢. صحيح البخاري ج٣، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه ص ٩٦.
٣٣. فتوح الشام: محمد بن عمر بن واقد السهمى الأسلمى أبوعبدالله الواقدى ج١، راجعه وقدم له طه عبدالرؤوف سعد، ص ٢٢، ٢٣ (وصية أبوبكر).

٣٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر القرطبي، تحقيق: الشيخ على محمد معوض، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ج١، ص ١٧.
٣٥. لمحات في الثقافة: مرجع سابق ص ٤٢.
٣٦. مقدمة ابن خلدون: تحقيق: دكتور علي عبدالواحد وافي (ج٣ ص ١١٢٤).
٣٧. موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية: أبوالحسن الندوي ص ١٠.
٣٨. شروط النهضة: مالك بن نبي ص ١٢١.
٣٩. الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الأفكار الغربية: محمد المبارك ص ٢٨.